قصائد ونصوص مختارة

لمظفر النوّاب

شاعر المعارضة السياسية والغضب القومي

obeikandl.com

obeikandl.com

محمد الدرّه

يا محمدُ الدرّه

لم تكنْ

تتقي

وابلَ المجرمين

بظهر أبيك

ولكن ترصُّ عزيمتهُ

لاختراق الرصاص

ورغم صراخك

كم كان صوتك عذبا

كأنَّ جميعَ الطيورِ لقد ذبحت

وهيَ تشدو

وبين الرصاص .. لمحتُ حذاءَك

كان صغيرا..

ولكنه قدرٌ لا مناص

obeikandl.com

وغطّى دمُ الوطن العربي قميصَك

كلُّ الرصاص يوجُّه للوطن العربي!!

ومازال لم يفهم الأغبياءُ،

بأن الرصاصَ طريقُ الخلاصِ

محمد!

قد كشفتْ قمةُ العهر

عن كل عوراتها

خُطبُ الذلّ باعتْ دماءك

كلا

فأنت المحالُ الذي لا يباعُ

وأنت الترابُ الذي لا يباعُ

وأنت السماءُ

وأنت القصاص

* * *

obeikandl.com

دماؤك مازال الحسين مقاتلاً

في تشيع الشهيد عباس موسوي

محفة راحات تموج بنعشه

كان سموات إلى الله ترفع

حشود صلاة للجهاد يؤمها

علي إلى أحتافها تتدافع

وتأبى يسير النعش

فيك مكبرا

لغير جنوب أنت منه المواجع

دماؤك

مازال الحسين مقاتلا

ولحمك

مازالت تذود الأشاجع

وكل أصبع مما تناثر من يديك

obeikandl.com

كما السنا

أصابع بارود بهم وأصابع

وجبهتك الزهراء

ترسم في الثرى

فلسطين للأجيال ما أنت راكع

فإن قمت، قامت للصلاة مآذن

أهلتها –مما تذوب – خواشع

وأسمع عبر الدهر فيك ((وأجتهد))

وتلك لمنها تستمد المراجع

وإن اجتهادي

كاجتهادك

إنما

أرى الله فينا

والغرام مواقع

* * *

obeikandl.com

وتريات ليلّية

الحركة الأولى والثانية

١٩٧٠-١٩٧٥ م

مدخلان:

(١)

أوه .. يامعلمي، إن غيابك قد كشف العالم

و روّج للذين يدفئون بيضة فاسدة

فلماذا أنت في الغيبة وكأنك تشارك يا معلمي

(٢)

وفي الليل ساعة بنفسجّية لا يعرفها الآخرون،

التقي بجسد العشق فيها ونسمع أصوات الشاطئ الآخر

obeikandl.com

إشارة:

حزن غولي بالآلات الوترية الضخمة، تشقه صرخات مضيئة حادة بالوتريات الناعمة.. أمام وراء بلا ومضة إثارة، يعطيان الوتريات تضوّرها الموحش المخيف، وتحدياتها وأفراحها الناعمة القوية في قلب ذلك النغم الورائي المسيطر.. التناقض يستمر حتى النهاية يتشبث ببعضه حتى تنتصر الحياة بأن تنبجس ورقة خضراء صغيرة على ذلك الموت الذي يقرع بطبله منذ الأزل.. وخلال ذلك تهوّم انسجاما ذاتية مفرطة الأناقة والتأمل، مقابل نثرية فظة هي التناقض الآخر الضروري، وشيئاً فشيئاً تهلك تلك التفاصيل والجزئيات المهمة ليطل مهيب التوليف الذي لم أصل إليه بعد، ولكنه يدور بقلبي، وأوشك أن أذوقه في الحركة الرابعة من الوتريات بأنها محاولتي باتجاه بناء سيمفوني ملحمي يولف بين التأجج الفردي المتعجل وخطى التأريخ الثقيلة البطيئة الواثقة. هنا حركتان من الوتريات، وما زلت أغور في لجج الحركة الرابعة التي يرتفع فيها نشيد الجوقة البشرية مرافقا شروق الشمس في داخل الإنسان:

opelkandl.com

obeikandl.com

الحركة الأولى

أما أنا فلا أخلع صاحبي

عاشرته وخبرته وعرفته

ولذا لا أخلع صاحبي

من هذه الأرض ابتدأت دعوة، ابتدأ بها اسماعيل

ثم تلاقفها القرامطة، وأنا قرمطي أولئك قالوا:

مشاعة الأرض.. ومشاعة السلاح.. ولكن لم يقولوا

مشاعة الإنسان، وأنا أيضاً مع مشاعة الأرض ومشاعة السلاح

ولكن لست مع مشاعة الإنسان.

مظفر

في تلك الساعة من شهوات الليل

وعصافير الشوك الذهبية

تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء

وشجيرات البرّ تفيح بدفء مراهقة بدوية

يكتظ حليب اللوز

obeikandl.com

ويقطر من نهديها في الليل

وأنا تحت النهدين، إناء

في تلك الساعة حيث تكون الأشياء

بكاء مطلق

كنت على الناقة مغموراً بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الضالع بالهجرات

تزوّد قبل الربع الخالي

بقطرة ماء

* * *

كيف اندسَّ بهذا القفص المقفل في رائحة الليل؟

كيف اندسَّ كزهرة لوز

بكتاب أغانٍ صوفية!؟

كيف اندسّ هناك،

على الغفلة مني

هذا العذب الوحشي الملتهب اللفتات

هروباً ومخاوف

يكتب فيَّ

obeikandl.com

يمسح عينيه بقلبي،

في فلتة حزن ليلية

يا حامل مشكاة الغيب بظلمة عينيك!

ترنّم من لغة الأحزان،

فروحي عربية

* * *

يا طير البرّ

أخذت حمائمَ روحي في الليل،

إلى منبع هذا الكون،

وكان الخلقُ يفيضُ

وكنتُ عليَّ حزين

وغسلت فضاءك في روح أتعبها الطين

سيرحل هذا الطين قريبا،

تعب الطين

عاشر أصناف الشارع في الليل

فهم في الليل سلاطين

نام بكل امرأةٍ

خبأ فيها من حرّ النخل بساتين

obeikandl.com

يا طير البرق! أريد امرأةً دفء

فأنا دِفء

جسداً كفءً، فأنا كفء

تعرق مثل مفاتيح الجنة بين يديَّ وآثامي

وأرى فيك بقايا العمر وأوهامي

يا طير البرق القادم من جنّات النخل بأحلامي!

يا حامل وحي الغسق الغامض في الشرق

على ظلمة أيامي

احمل لبلادي

حين ينام الناس سلامي

للخط الكوفيّ يتم صلاة الصبح

با فريز جوامعها

لشوارعها

للصبر

لعليّ

يتوضأ بالسيف قبيل الفجر

أنبيك علياً

مازلنا نتوضأ بالذلّ ونمسح بالخرقة حد السيف

obeikandl.com

ما زلنا نتحجج بالبرد وحرّ الصيف

مازالت عورة عمرو بن العاص معاصرةً

وتقبّح وجه التاريخ

مازال كتاب الله يعلق بالرمح العربية!

مازال أبو سفيان بلحيته الصفراء،

يؤلب باسم اللات،

العصبيات القبلية

مازالت شورى التجار، ترى عثمان خليفتها

وتراك زعيم السوقية!

لوجئت اليوم

لحاربك الداعون إليك

وسمّوك شيوعية

* * *

ماذا يقدح في الغيب الأزلي؟

أطلّوا..

أسيف عليّ

قتلتنا الردة يا مولايَ كما قتلتك بجرح في الغُرَّة

هذا رأس الثورة

obeikandl.com

يحمل في طبق في قصر (يزيد)

وهذي (البقعة) أكثر من يوم سباياك

فيا للّه وللحكّام ورأس الثورة

هل عرب أنتم!!؟

والله أنا في شك من بغداد إلى جدة

هل عرب أنتم

وأراكم تمتهنون الليل

على أرصفة الطرقات الموبوءة

أيام الشِدَّة!

يا ملك البرق الطائر في أحزان الروح الأبدية

كيف اندسَّ كزهرة رؤيا

في شطحة وجد صوفية!؟

يمسح عينيه بقلبي،

في غفلة وجد ليلية

يكتب فيَّ

يوقظ فيَّ

ماذا يكتب فيَّ

ماذا يوقظ فيَّ

obeikandl.com

يا مشمس أيام الله بضحكة عينيك!

ترنم للغة القرآن

فروحي عربية

* * *

قتلتنا الردّة

قتلتنا الردّة

قتلتنا الردّة

قتلتنا أن الواحد منا يحمل في الداخل، ضدّه

أنبيك تلوث وجه العنف،

وضجَّ التاريح دعاوى فارغةً

وتجذّ من لياليه

يا ملك الثوار!

أنا أبكي من القلب لأن الثورة يزنى فيها

والقلب تموت أمانيه

يا ملك الثوار! تعال بسيفك

إن طواويس ((يزيد)) تبالغ في التيه

يا ملك الثوّار أنا في حلّ

فالبرق تشعب في رئتي

obeikandl.com

وأدمنت النفرة

والقلب تعذر من فرط مراميه

والقلب حمامة برّ لألأها الطلُّ

تشدو،

والشدوُ له ظلُّ

والظل يمد المنقار لشمس الصحراء

لغة ليس يحل طلاسمها، غير الضالع بالأضواء

والظل لغات خرساء

وأنا في هذي الساعة

بوح أخرسُ

فوق مساحات خرساء

أتمنى عشقاً خالص للّه

وطيب فم خالص للتقبيل

وسيفا خالص للثورة

* * *

يا طير البرق! تأخرت فإني أوشك أن أغلق العمر ورائي

أوشك أن أخلع من وسخ الأيام حذائي

ياللوحشة!

اسمع:

obeikandl.com

فوراء محيطات الرعب المسكونة بالغيلان

هنالك قلعة صمتٍ

في القلعة بئر موحشة كقبور ركّبن على بعض

آخر قبر يفضي بالسر إلى سجن

السجن به قفصٌ تلتف عليه أغاريد ميتة

ويضم بقية عصفور مات قبل ثلاثة قرون

تلكم روحي

منذ قرون دفنت روحي

منذ قرون وئدت روحي

منذ قرون كان بكائي

أبحث عن ثدي يرضعني

فأنا خاوٍ

وأريد حليب امرأةٍ، بإنائي

* * *

في تلك الساعة من ساعات الليل يجوع إنائي

والكلمات يصلن لحد الإفراز

في العاشر من نيسان بكيت على أبواب (الأهواز)

فخذاي تشقق لحمهما من أمواس مياه الليل

obeikandl.com

أخذت حشائش برية

تكتظ برائحة الشهوة

أغلقت بهن جروحي

لكن الناموس تجمّع في خيط الفردوس المشدود كنذر

في رجلي

ناديت:

إله البر سيكتشفوني

وساقتل في البرّ الواسع

والريح على أفق (البصرة) تذروني

ويد الطين ستمسح عن جبهتي المشتاقة

نيران جنوني

في العاشر من نيسان

نسيت على أبواب الأهواز عيوني

وتجمع كل ذباب الطرقات على فم الطفل

ورأيت صبايا فارس يغسلن النهد بماء الصبح

وينتفض النهد كرأس القط من الغسل

أموت بنهد، يحكم أكثر من كسرى في الليل

أموت بهنّ

obeikandl.com

تطلعن بخوف الطير الآمن في الماء

إلى قسوة ظلي

مَنْ هذا المتسربل في الليل بكل زهور النخل؟

تتأججٍ فيه الشهوة من رؤيا النخل الحامل في الليل

شبقافي لحم امرأة

كالسيف العذبِ الفحل!؟

من هذا الماسك كل زمام الأنهار

يسيل على الغُربات كعري الصبح

يراوغ كل الطرقات المألوفة في جنّات الملح

يواجه نئبية هذا العالم

لا يحمل سكينا!!؟

يا أبواب بساتين الأهواز!

أموت خنينا

يا أبواب الأهواز! أموت حنيناً

غادرت الفردوس المحتلَ

كنهر يهرب من وسخ البالوعات حزينا

أحمل من وسخ الدنيا

أن النهر يظلُّ .. يظلُّ .. أمينا

obeikandl.com

أن النهر يظلُّ..

فأين امرأة توقد كل قناديلي؟

فالليلة تغتصب الروح حزينا

هذا طينك يا اللّه يموت بي العمرُ

ويشتعل الكبريت

جنونا

هذا طينك قد كثرت فيه البصماتُ

وأفسق فيه الوعي سنينا

هذا طينك.. طينك.. طينك.. تتقاذفه الطرقات

بليل المنفى والأمطار

دلتـني الأشعار عليك..

فكيف أدلّ عليك بجمرة أشعاري

جعلتـني الدمعاتُ كمنديل العرس طرّيا..

لا أجرح خداً

خذني وامسح فانوسك في الليل

تشع بكل الأسرار

لا تلم الكافر في هذا الزمن الكافر

فالجوع أبو الكفّار

مولاي!

obeikandl.com

أنا في صف الجوع الكافر

ما دام الصف الآخر يسجد من ثقل الأوزار

وأعيذك أن تغضب مني

أنت المطويُّ عليك جناحي في الأسحار

* * *

إله نجوم البحر!

لقد أبحرت إليك

كآخر طير في البرّ

وكادوا يقتـنصوني

إله البحر! سيكتشفوني

إله البحر! ألست تشمّ مساحات سكاكين

الدم، سيكتشفوني

سباخك يا ربّ الليل!

يشدّ على قدميّ المتورمتين

وأقدامي تهرب في قلب عدوي

صارخة

وسيكتشفوني

انقذ مطلقك الكامن في الإنسان

obeikandl.com

فإن مُدى المتبقين من العصر الحجري

تطاردني

أنقذني من وطني

إذْ ذاك التف على جسدي الواهن روح المطلق

متشحاً بالقسوة والنرجس والزمن

حملتـني ريح الغيب إلى درب

تترقرق فيه بواكير الصبح

وأول عصفور زقزق في الأفق الأزرق ملتهبا

آمنٌ

آمنٌ.. آمنٌ

أيقظ خبزي

أيقظ في القرية رائحة الخبز

فغافلني تعبي والشبق المتأصل فيَّ وجوعي للإنسان

فدقوا باباً موصدةً

ناداني صوت مازال كخيمة عرس عربيٍّ،

الصوت كذلك أنثى

والغربة حين احتضنتـني أنثى

والدّكة أنثى

من ذاك؟

obeikandl.com

أجبت كنار مطفأة في السهل

- أنا يا وطني!

من هرَّب هذي القرية من وطني؟

من ركّب أقنعةً لوجوه الناس

وألسنة إيرانية!؟

من هرّب ذاك النهر المتجوسق بالنخل على الأهواز

أجيبوا

فالنخلة أرض عربية

يا غرباء الناس

بلادي كصناديق الشاي مهربةٌ

أبكيك بلادي

أبكيك بحجر الغرباء

وكل الحزن لدى الغرباء مذلةً

إلامَ ستبقى يا وطني! ناقلة للنفط

مدهنةً بسخام الأحزان

وأعلام الدول الكبرى

ونموت مذلة؟

إلامَ أنا وطن في العزلة!؟

obeikandl.com

يا غرباء الناس! أغض لأن الدمع يجرّح أجفاني

في الحلم يطيننني الدمعُ

وتأتي الأفراح كسلسلة من ذهب من كنزك

يا ملك الأنهار بقلب بلادي

أبكيك بلاد الذبح

كحانوت تعرض فيه ثياب الموتى

أمتد إليك كجسر من خشب الليل

وسيعبر تاريح الغرباء

كل جسور الليل تسوسن سوى جسري

أحنك بكل الجدران

كأن الغربة يا قاتلتي!

جرب في جلدي

أتشهى كل القطط الوسخة في الغربة

لكن نساء الغربة أسماك

تحمل رائحة الثلج

وأتعبني جسدي

يا أي امرأة في الليل

تعالي

obeikandl.com

فلكل امرأة جسدي

وتدّ عربي للثورة، يا أنثى جسدي

كل الصديقين وكل زناة التاريخ العربي

هنا أرثٌ في جسدي

.....

.....

.....

في تلك الساعة حيث تكون الأشياء هي الشبق المطلق

كنت على الناقة

مذهولاً بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوي الممعن بالهجرات

تزوّد للقاء الربع الخالي، بقطرة ماءْ

يا قاتلتي بكرامة خنجرك العربي

أهاجر في القفر،

وخنجرُك الفضيّ بقلبي،

وأنادي:

عشقتـني بالخنجر والهجر بلادي

obeikandl.com

ألقيت مفاتيحي في دجلة أيام الوجد

وما عاد هنالك في الغربة

مفتاح يفتحني

ها أنذا أتكلم من قفلي

من أُقْفِلَ بالوجد

وضاع على أرصفة الشام سيفهمني

من كان مخيّم يُقْرأ فيه القرآن

بهذا المبغى العربي،

سيفهمني

من لم يتزوّد حتى الآن،

وليس يزاود في كل مقاهي الثوريين

سيفهمني،

من لم يتقاعد،

كي يتفرغ للّغو،

سيفهم أي طقوس للسرية في لغتي

وسيعرف كل الأرقام وكل الشهداء وكل الأسماء

وطني علّمني أن أقرأ كل الأشياء

وطني علّمني، علّمني

obeikandl.com

أن حروف التاريخ مزورة،

حين تكون بدون دماء

وطني علّمني أن التاريخ البشريّ

بدون الحب،

عويلٌ ونكاح في الصحراء

وطني هل أنتَ بكاء الصحراء؟

وطني هل أنتَ بلاد الأعداء؟

وطني هل أنتَ بقية داحس والغبراء!؟

وطني أنقذني

رائحة الجوع البشري مخيفة

وطني أنقذني

من مدن سرقت فرحي

أنقذني من مدن يصبح فيها الناس

مداخن للخوف وللزبل مخيفة

من مدن ترقد في الماء الآس،

كالجاموس الوطني،

وتجترّ الجيفه

أنقذني كضريح نبي مسروق

.....

obeikandl.com

.....

.....

من باع فلسطين سوى أعدائك أولئك يا وطني!

من باع فلسطين وأثرى – بالله-

سوى قائمة الشحادين على عتبات الحكّام ومائدة الدول الكبرى

فإذا أذنَ الليل

تطقّ الأكواب، بأن القدس عروس عروبتـنا

أهلاً .. أهلاً..

من باع فلسطين سوى الثوّار الكتبة

اقسمت بأعناق أباريق الخمر

وما في الكأس من السمّ

وهذا الثوريّ المتخم بالصدف البحري ببيروت

تكرش حتى عاد بلا رقبة

أقسمت بثورات الجوع ويوم السغَبَهْ

لن يبقى عربيّ واحد في الشرق إذا بقيت

حالتـنا هذي الحالة

بين حكومات الكسبة

القدس عروس عروبتكم!؟

obeikandl.com

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها،

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب لصرخات بكارتها

وسحبتم كل خناجركم، وتـنافختم شرفاً

وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض

فما أشرفكم!

أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة؟!

أولاد القحبة!

لستُ خجولاً حين أصارحكم بحقيقتكم

إن حظيرة خنزير أطهرُ من أطهركم

تـتحرك دكّةَ غسل الموتى،

أما أنتم،

لا تهتز لكم قصبةْ

.....

.....

سيكون خراباً

سيكون خراباً

سيكون خراباً

هذي الأمة .. لا بدّ لها

أن تأخذ درسا في التخريب.

obeikandl.com

وتريات ليلية

الحركة الثانية

في تلك الساعة حيث تكون الرغبة

فحل حمام

في جبل مهجور

وأضمَ جناحيّ الناريين على تلك الأحجية السرية

وأريج التفاح الوحشي

يغص كذئب ممتلئ باللذة،

كنت أجوب الحزن البشريّ الأعمى

كالسرطان البحري

كأني في وجدي الأزليّ

محيط يحلم آلاف الأعوام

ويرمي الأصداف على الساحل

كم أخجلني من نفسي

هذا الهذيان المسرف

بالوجع الأمي

obeikandl.com

فإني أتـنبأ أن بذور اللذة مدت ألسنة خضراء وشفرات في رحم الكون

وأعطت جملا أبدية

.....

وجيء بكرسي حفرت هوة رعب فيه

ومزقت الأثواب عليّ

ابتسم الجلاد كأن عناكب قد هربت

أمسكني من كتفي وقال، على هذا الكرسي خصينا بضع رفاق

فاعترف الآن

اعترف اعترف

اعترف الآن

عرقتُ .. وأحسست بأوجاع في كل مكانٍ من جسدي

اعترف الآن

وأحسست بأوجاع في الحائط

أوجاع في الغابات وفي الأنهار، وفي الإنسان الأول

أنقذ مطلقك الكامن في الإنسان

توجهتُ إلى المطلق في ثقة

كان أبو ذرّ خلف زجاج الشبّاك المقفل

يزرع فيّ شجاعته فرفضت

obeikandi.com

رفضت

وكانت أمي واقفة قدّام الشعب بصمت .. فرفضت

اعترف الآن

اعترف الآن

رفضتُ

وأطبقت فمي،

فالشعب أمانة

في عنق الثوري رفضتُ

تقلص وجه الجلادين

وقالوا في صمت أجوف:

نتركك الليلة..

راجع نفسك

أدركت اللعبة

في اليوم التاسع كفوا عن تعذيبي

نزعوا القيد فجاء اللحم مع القيد،

أرادوا أن أتعهد،

أن لا أتسلل ثانية للأهواز

صعد النخيل بقلبي..

صعدت إحدى النخلات،

obeikandl.com

بعيداً أعلى من كل النخلات

تسند قلبي فوق السعف كعنقٍ

من يصل القلب الآن!؟

قدمي في السجن،

وقلبي بين عذوق النخل

وقلت بقلبي: إياك

فللشاعر ألف جواز في الشعر

وألف جواز أن يتسلل للأهواز

ياقلبي! عشق الأرض جواز

وأبو ذرّ وحسين الأهوازي،

وأمّي والشّيبُ من الدوران ورائي

من سجن الشاه إلى سجن الصحراء

إلى المنفى الربذي، جوازي

وهناك مسافة وعي،

بين دخول الطبل على العمق

السمفوني

وبين خروج الطبل الساذج في الجاز

ووقفت وكنت من الله قريبا

obeikandl.com

وَمَا هُمْ .. ولكنه العشق

هام لم يدر
متى أطفأهُ الشوقُ
وأين احترقا!
سنَةٌ
ما بين كأسين
غفا
ثم صحا
واغتبقا..
سقطت زهرةُ لوزٍ
عفة
في كأسه
أجمرتْ عيناهُ شوقاً
وتلظى شبقا
تركت من تاجها
في خمره
غيمة تغرقُ

obeikandl.com

فاستل إليه الفرقا

تطرقُ الحانةُ

في أطرافه

حُزناً

فان حَدّقَ،

صارت حدَقا..

عرف الدُنيا،

طريقاً

بين كأسين،

فشقّ الدمعُ في خديه منها،

طُرُقاً

صحبُهُ ناموا على أعناقهمْ

وغدوا

من طاولاتِ الخمرِ

إلا رَمَقا

وهو ينضُو

بين أعناق القناني

عُنُقا

وبعينيهِ

obeikandl.com

يلمُ الغسقا

يدفعُ الكأسَ

لكفي خلّه

ربما ينشرُ

فالقنينة الكُبرى

أشرأبت

والضُحى بالبابِ

رشَ الحبقا..

يا مُويلاي!

على الصمت،

نداماها ثقالاً غادروا

مزقٌ تسحبُ منهمُ

مَزقا

أخذتُهم طُرُقٌ .....

عادت سريعاُ دُوَنُهمْ

أين أخفتهُمُ؟!!

وكيف البحث في الدَهرِ؟

وأين الملتقى!؟

obeikandl.com

بهجتي كانوا...

فلما خلَت الأيامُ من ضحكاتهمْ

ضحكتْ في عبها،

مما أُناديهم بعبي

فارغٌ قلبي وملأنٌ

بهمْ

وجديدٌ

رابني كم عَتُقا

أسمعْ القُبرة الصفراءَ

تـنعاهُمْ

تمطُّ الأفقا

والعصافيرُ على طاولة الخمرِ،

فراقٌ ولقا

يتـنهّلن بقايا خمرهمْ

ويُنفضن،

الندى والألقا

لا تُمتْ! يا صاح!

مما خلتْ الحانةُ مِنُهمْ

obeikandl.com

طارتْ الزهرة

في الريح،

وظلّت عبقا

لا تَمُتْ

لسنا قناني عرق

فارغةٍ

يقذفها الدَهرُ

بنا قد سكر الدهرُ

وقطرناهُ في كأس الليالي،

عَرَقا

ثمل الله بنا،

مما فهمنا أدبَ الشُربِ

وأنهينا القناني

حيرة،

في لُغزهِ

سُمّاره كُنَا

وكان الأرقا

سيدي!

مولاي!!

obeikandl.com

لا تغفُ

تأمل زهرة اللّوزِ

أمن ربعيةٍ ملت؟!!

أنا الأيامُ لم تقدر على رأسي

وقد يَثبت رأسٌ

قلقا

إنْ أكُن أطبقتُ جفنيَّ

فأصحو داخلي

وإذا كأسيَ،

مالتْ

فكما البلبلُ ينسابُ

أنيقا

للسقاْ

يا لكأسي وجبين الصُبح،

كم مالا على بعضهما!

ليس في الحانة غيريْ

وأخو ((الفتحة)) من أياهُمُ

يكتبنيْ!!!

أنا يا (عرص) انقلاب؟ أبيضٌ

obeikandl.com

من عرق

قطرهُ الدَهرُ....

فمن أنت؟! ومن فوقك؟!

أو فوقكُما؟!!

سبحانُه ماذا من الوردة ناساً

ومن الأقذار ناساً

خلقا!

طائرُ اللّذةِ

مُلقىً بين ضلعيك،

سجيناً

خُذ رُشيقاتٍ

وحرره قليلاً..

ربما يشتاقُ من نافذةِ الحانةِ

لله...

ويُغري الأفُقْا

أنا لم أشركْ

ولم ألقَ سوى الحانة هذي!

اغلق الأبوابَ في وجهي مراراً

وطني...

obeikandl.com

وأظن الغربة الخرقاء،،

تستكثرُ منها كُوّة

أصرخ منها ألمي..

فحشتها خرقا!

رب سامحُهُمْ وإن لم يسكروا...

كيف يشتاقُ إلى خمرةِ جنانكَ

من لا يعرف الخمرَ

ويشتاقُ صباياها

إذا كان هُنا ما عشقا؟!!!

هائمٌ

لم أدرِ

ماذا أسَرَ الشوقُ

وماذا أعتقا...!؟

سقطت زهرةُ لوزٍ

غيمة

في قدحي

يا رب ما هذا النقا؟!

غرقت..

لم أستطع انقاذها

obeikandl.com

أصبعي زاغتْ من السُكرِ،

وقلبي شَهقا

ما لها الكرمة لا تعرفُني؟!

أمس رقرقتُ لها

خمرتها

وأنا اليوم على خمرتها

دمعي وأمسي..

رقرقا...

طينتي، قد عُجنتْ كأساً..

فماذا كوّر الطينة

شعراً؟!!

أنت يا ربُّ؟

أم الكوُرُ؟!

أم الطينة طابت خُلُقاْ؟

نَطْنَطَ العصفورُ

فيما قد تركنا

من فُتات

وسفحنا حُرقا.

ولوى من عُنقهِ الزيتيّ

obeikandl.com

حتى مسَّ قاع الكأسِ،

يا أبلهُ!

لم نترك

ولا مثقال سكر..

أبلهُ من عوقا

أدعُ.. رفقاتِكَ

يؤنسن حجار الحانة القفراء

أن كان يُسمى حجراً،

من عاشَ في خمارةٍ

لو سكت السُمارُ يوماً

نطقاْ

يا سُكارى بعدنا..

ان سقطت في كأسُكُمْ

غيمةُ وردٍ..

أذكرونا،

رشفةً

كنا نوازي الدَهرَ.. أو نسبقُهُ

عشقاً،

رعى الله زماناً، وسقى..

obeikandl.com

إنْ أكُن أفرطتُ..

مولاي!

فهل يقتصد العاشقُ

أم يأبقُ عشقاً؟!!

ضاقت الروحُ

وعظمي من صدود، أبقا

قفصُ الدهر،

كما أنت ترى،

ضايقني..

واشتهتـني لغةُ من خارج الدهر،

فهزّتْهُ..

فما بال فؤادي،

للذي يُسجن فيهِ

أشفقا

هاجني غُصنٌ نَسيمٌ

راقص بالزهرِ

والخمرُ برأسي لعبتْ

أهو ذنبي،

obeikandl.com

زهرة من قطرة قد سقطتْ؟!!

ذنبُ من مولاي!

لم يـبق من البستان إلا وهم عود

صامت

لستُ سفيهاً

أبلها..

أسأل عن زهري

ولم تبقِ عليّ الورقا..!

أغمدتَ في قدمي .. فامتشقا.

الصبحوحات بكأسي...

سيدي!..

رُبَمْا أأمن للزهرة كأسي،

من مهب الريح،

أغضبْ مثلما شئت

فعشقي لم يساومك على شيء

وما الجنة والنارُ

سوى نارين

obeikandl.com

فيمن عشقا

أغمدتْ

فأستلّت السُهْدَ

وقد كنتُ نويتُ

الغسقا

شمتُ

لو أعلم ما شمتُ .. وأتعبُتُهما

كذب الغيمُ،

على حاليَ،

والصحوُ

وإنْ قد صدقا

سيدي!

من عجب في داخل السُكرِ

أصلي..صادقا

مهما تجازيني سراباً

أدمعي تسقيك في بحرِ النقْا

همتُ...

obeikandl.com

لا أدري!

عصافير الضُحى

من قدحي ... من صاحبي...

كلهم طاروا...

لئيمٌ صاحبُ الحانة

لم يرحم بقاياي بهمْ

خُذْ أباريقك

أني منك سكرانٌ

سأمضي خلفهم

ربُما ألقاهُمُ...

أحجز كراسي الأمس

لم نندم،

سدى لم يكتف العمر،

وإن كنت غششت العَرقاْ.

اسمعْ القُبرة الصفراء

تـنعانا

تمطُّ الأفُقا

obeikandl.com

يا خطايا! يا خطايا!

كم كبيرٌ هذه الأيام من كان خطايا!

أنا منُهمْ

توبتي،

لم أنكسرْ،

إلا لتقبيل نُهيدٍ نَزِقا

إنْ يكُن تاب السكارى!.

أنا بالسكر أناجيك

فما جُرحي بالريش، ولا يارِبّ

بالريش التُقا

ليس بي فاحشةٌ

إلا بأني

لذاتي أكثرُ مني خُلُقاْ[1]

* * *

(١) الكفاح العربي، ١٩٨٤/١١/١٩.

obeikandl.com

obeikandl.com

حسين مزّتر(١)

قدرٌ في تواضُعِه

قدرٌ في بساطه مَشيته

قدرٌ في محاذاته للجدار الذي تزحف الانقلاباتُ منه

ويمشي الهوينا.. إذن

قدرٌ

قدر في تلفت خنصره،

كالعريس الجميل

كرروا لقطة،

كان نفس الهدوء

ونفس الخطى والبلاهة

أتقنها كلّها مثل ختم

وأربى

تحرّك في العدسات

(١) الشهيد الذي نسف السفارة الأمريكية في بيروت.

obeikandl.com

كأنّ السماوات تُخرجُ فِلماً

وكتَّم في قلبه العزمَ

مُهراً يُكتَّمُ في رئتيه الصهيل

سخروا من غرابة نعليه

لم يشبعا زُرقةً من شواطئ بيروت

فاكتفيا بالرذاذ

كأنهما أذنا زمن

قرَّرَ المستحيل

حمّضوه...

أزالوا الرتوشَ،

عسى يظهرون نواياهُ

أظهرَ صمتَ الحقولِ،

وقُبرةً تترنُم بين الضُحى والظهيرةِ

في دعةٍ تجلبُ الغيمَ

جاءَ السحابُ...

وجاءتْ تـنثُ

فدى يا مزنر عينيك!

ماذا على موجةِ الله كانت تبثُ

obeikandl.com

ترنّمَ أرغولُ ربَ السماواتِ

غيماً وبرقاً وعشقاً

فلاح المخيّمُ في ومض عينيه

ملتبساً بالجنوب

وصور صيدا كأنّ الجليل

تقحّمَ كُلَ الحوامض

والعدسات

وأجهزة النفي

شالَ السفارة من جذرها

للجنوب هديةَ حُبٍ

((وَجَبْ))

هكذا ستكون الهدايا.

يُصوّحُ جيلٌ عليها

وينبتُ جيل

خَمنوا الانهيارَ

ومن هولهِ خمنوا، وجهَهُ المُتَبرجَ بالصمت

والصيف

والسلسبيل

obeikandl.com

عرفوه من الابتسام يباشرُ وجه القرى.

وطريق يُتَمتُم مثل الزّمُرد بين الحقول

وطفل يُكوّم ضحكاتهِ

والحجارةَ والدمعَ، ضد هروب الغُزاة.

نعَمْ!

نحن نمنعكُمْ تدخلون الجنوبَ

ونمنعكُمْ تخرجون بدون ضريبة دَمٍ

تُضاعفُ ثانيةً بعد أخرى يؤجلُ فيها الرحيل

خلفَهُم!!

خلفهُمْ

بالعصيّ ... القناني...

وما يتيسر في يدكُمْ

قلقلوهُمْ

تقاضوا ديوناً

مؤجلةً

بالقتيل ثلاثة قتلى

وبالغصن قد جرحتهُ الشظايا قتيل

بالعصيّ...

obeikandl.com

ولا تتركوا وجهَ دبابةٍ ليس تقطرُ منهُ الدماءُ

أروها الهروبَ المُحالَ

فما من نكوص،

ولا من سبيل

رُزمٌ تتطايرُ

أشياءُ تشبهُ خوفَ الخفافيش تهوي،

وبيروتُ تسقي ابتساماتِها النرجيسية،

في الشرفات الصغيرة

عابثة بجدائلها

والملفات تـنثالُ... تـنثالُ .. مثل النوارس مُفزعَة

والسفير يفتشُ عن نصف أشيائِه في الهواء.

ورائحة الخلّ من أبطيه،

تخلّلُ هذا الصباحَ الطريّ

وحاجبه يرسل الاستغاثة

يُرامُ قياسُ الخراب البهيّ!!!

تُرى أيقاسُ الشمولُ!؟

ودأبُ الجماهير حين تقرّ الخرابَ

طريقُ الخلاص الأخير

obeikandl.com

وأن يُولد الغدُ بالسبل القيصرية

حتماً

أنا شامتٌ ملء روحي..

مساحة بيروت أضحكُ

لبنان أضحك

أنكحُ بالوسطيين مدافع حاملة الطائرات

وأبراجها..

تبجحها..

والفنار

((وريغن)) إن يقتضي الأمر.

يا سيدي! كلما اتَسَعَ الصُبح

ضاقت عليّ العبارةُ

علمني الدهرُ

قبل البذار أضاعفُ عمق الحراثة

قدرٌ في سخونة جبهتِه

وارتفاع مناخاتها

قدرٌ في التفاتَةِ عينيهِ

كُلُ المرايا تفكر فيها،

obeikandl.com

ويلتفت الجو في طرب.

قدرٌ في زئير الوقود،

نشيجٌ الجنوب وغضبتهُ وعليٌّ به

قدرٌ حاولوهُ بآخر ما وصلَ العلُم.

ظنوا المشارط تبلغُ صوفية الشرق

ما عرفوا الله يمكر أكثر من مكرهِمْ

من رأى الله شاحنةً!؟؟

من رأى الله لُغماً !؟؟

كميناً!؟؟

فتىً عابساً مثلما البدر في ليلة التّمِ

وفق هويته،

وملفاته في السواقي ورائحة الحقل،

يُدعى ((الحسينُ المزنّرُ))

ووفق الشهادة والألم الكربلائي في صوته والثبات

الحسينُ بن فاطمة

((والحسين الرضيّ))[٢]

ووفق الزمان الجديد،

---

(٢) قائد الحزب الشيوعي العراقي، صُفي في انقلاب عام ١٩٦٣.

obeikandl.com

هو الشعبُ ليس يخون الغدينِ،

غداً وتراثه

كيف تكتشفُ العدسات مؤامرة القلب.

والاهتزاز الربوبيّ للهُدب؟

يبسملُ بالقمح والصبح والريح والتين،

والضيعتين المقاتلتين

ورائحة النرجس العصبيَّ

ويشعر طعمَ الشريط الحدوديّ مثل الصراط

يضاعف زرقَةَ نعليه

يضغط أضلاعه كالصلاةِ على المقود المتوهج

يا من رأى الله شاحنةً ليس تلوي!

ويُملي انفلات إرادتِه

واكتراثه

كيف تكتشف العدسات الدقيقة

رُكن الشهادِة.

في حاملات الوراثة؟!

كيف تفهمُ تقنية العالم المتُحضرِ

أعصابنا تتخللُ هذا. الترابَ

obeikandl.com

تـنفسُ بنتٌ،

فينبتُ حوضٌ من الياسمين

ويركض طفلٌ

فيشهقُ بين أصابعهِ النرجسُ الغّرُ مثل الرنينْ

ومن عرق القلب

تزقو الشقائق حمراء،

عابقة بالشجن

كيف يكتشفونَ ((الحُسين)) من الدهر يأتي

بشاحنة

ويزورُ سفارتهم بالقنابل

بعد قليل يزور العواصمَ

بعد قليل يزور العواصمَ...

تافهة كُلّ هذي العواصم،

تـتخذُ الاحتياطات

تلبسُ ثوبَ الدماء وليس بها خدش.

ولو كان خدش حياء

أحسُّ دوي المحرك في عصبي..

إن هذا القديم أشدُّ معاصرةً

obeikandl.com

ويداهُ وإن حُزتا من وتينِ

تديران بعد الصراع،

وتستبقان الزمن.

إذا الثوريونَ صاروا يمين التجارة والقمع

وأستلزموا...

يستديرُ بمقودهِ نحوهُمْ

نحوهم...

نحوهُمْ!

ليس هذا يسارُ التغير يا سيدي!

بل يسار الفتنْ.

ليس هذا سهرنا لهُ الدهرَ

نخفي الجروحَ وننكر خيبتنا كبرياءً...

لقد غيبوا الأصل،

واستبدلوه بمسخٍ

يمنُّ علينا هزيمته والمنافي

ويسترُ عورته بالوطن.

ليس هذا!!!

فهذا تتمةُ قمع نعانيه

obeikandi.com

في كل يوم يُزوّر أوراقَهُ

ويُسرّ بآذاننا...

ما يشينا به في العَلَنْ

قدرٌ أنّ نعلين لم يشبعا زرقةً

ناصبين كصقرين فوق الرُكام

كأنَ السفارةَ صيدهُما

كيف لو خرج الشعب بالنعل لا غير

واحترم الحاكمين بها

وتقاضي إذا مزقتها الوجوه الغليظة

منها الثمن[٣].

* * *

(٣) نقلاً عن مجلة الكفاح العربي، ١٤ تشرين الأول (اكتوبر)١٩٨٤م.

obeikandl.com

obeikandl.com

أيّها القبطان

اسقنيها

و افضحي فيَّ الظلاما

بلغت نشوتَها الخمرةُ

في خديك

نثر الورد في كأس الندامى

وروت مبسمَ وردٍ

نزع التاج وألقاه بأرواح السكارى

بمعانٍ نزعت ألفاظها

وقف العشقُ على كفيهِ مجنوناً من النشوة

والعود ارتخت أوتارهُ

واللحنُ قاما

وانتضائي ضائعَ اللُّب

بعينيّ من السُكر دَمُ العصفور

والجفن انكساراتُ خزامى

obeikandl.com

جسدي مرتعشٌ بالطّل

أنضوه

كأني أُفعوانٌ،

ترك الثوبَ السموميّ،

على صكةِ نهديك ضراما

متعبٌ

أبصم إن حستـني جسمي،

فإني لستُ ألقاه

وإن قد أشعل الليلَ

أنيناً وسقاما

ربما يقوى على حملي

إلى بيت تعودتُ على فقدانه،

ألقاهُ في عيني

وأغفوه

كأن الكون ناما

* * *

رسموا بحراً من الحبر

وحطوا مركباً فيه

obeikandl.com

ويا غافلُ! يا أنت لك اللّه

ركبنا!!!

فوجدنا نفسنا في ورق الرسم

بلا صوتٍ!

ومشطوبين بالأحمر!!!

والقبطان مشروخاً إلى كعبيه بالذُلّ

أدفعوني

ومضى يفتكُ بالنسوة في قمرتهِ العُليا

اهتماماً بالجماهير،

وبالفخذ اعتصاَما!

أيُّها القبطان زوراً!

ليس بالمركب والبحر ثقوبٌ

إنما أنتَ هو الثقب

ولن يمنحَك البحر احتراما

تدّعي المركب! هيهات!!!

ومن أين ولم تُبحر؟

وتاريخك وَحْلٌ

ودَمُ النوتيةِ الأمجادِ في عُنقِكَ

obeikandl.com

أصبحتَ على البحر إماما!!!؟

أسقينها

لم يزل للبحر في رأسي، دويٌّ

والمدى لعبةٌ أطفالٍ بكفي

وتُقى أشربُها

راحاتُها استغفرت الله لنا

والعُودُ يلتفُ،

كمن يعتصر الروحَ ضرُاما.

أسقينها وفدى خُفيك من يشربُ خمراً

وهو لا يعرف للخمر مقاما.

أيها الشاربُ

إنْ لم تك شفافاً رقيقاً

كزجاج الكأس،

لا تدخل طقوس السكر والكينونةِ الكُبرى

فسوءُ الخمر يؤذي،

بينما يقتل سوءُ الخُلقَ

فاشربها كريماً دَمِثاً

تطمعُ أنَّ النارَ تستثني الكراما

* * *

obeikandl.com

قاربَ الأيام

تِهْ بيَّ

وتهني..

فأنا أسمع تيهاً غامض البُعدِ ...

وُزرَّ البحر من خلفي،

وضيّعني أماما..

أبتعدْ عن أيّ شاطئ،

أيُها النذرُ الشُبوبيُّ

بمقدار نوايا الشمع

تُعطِ البحر بقشيشاً

من الماء اضافيا

وطعماً...

وغماماً...

أنتَ .. أنتَ المركب النشوانُ

ألواحاً

ومجدافاً.. وروحا

تتهادى في نئيج الموج والطير

وصمت المطلق السينيّ

obeikandl.com

يا سينيٌّ !! يا سينيٌّ

يا سراً من الأسرار

حققتَ الزمان الضِدَّ

غصناً فارعاً بالورد،

ممشوقاً غلاما.

كاشفاً عن فخذيكَ الجبروتين،

أفاداتٍ من الرُّز.

وصمتِ الفيروزباديّ

وكل امراءةٍ تُسندها

تسمع

أصوات الغرانيق

وجيش الزنج،

تـنضم..

وتُعطيك الزماما

* * *

أينهُ وعدُ اللذينَ أُستُضعفوا في الأرض

والركض إلى المسلخ يومياً!؟

أنا أصرخُ يا ربٌّ! التفت للناسِ

obeikandl.com

ما هذي القيادات المنافيح فراغاً

تشتكي من سوء هضمٍ،

داخل المخ

وتجترُ نياما

أنا سكران بمن تخلقهم

من نُطفة اللوز،

ونُطقِ الكسل الصيفي

سكرانٌ بمنْ...

ياربُ يا تدري بمن!

يا تدري، يا تدري بمن!

قابضٌ راحي على جمرةِ كأسي

بهدوء ورضى.

أمنحُ دُنيايَ على علاتها أقمار زرقاءَ

وناراً وخياما.

لم أزلْ أرجع للكتّاب

والختمةِ والقرآنِ، طفلا

دائماً ألقاك في شارعِنا الفرعي

تؤويني من الصيف العراقي

obeikandl.com

بثوبيكَ

وتتلو صبرَ أيوبَ على وجهي

ولكني مهووسٌ غراما:

ببيوت أذِن اللّه بأن يذكر فيها

وكثيراً هيمتـني

((ألم نشرح))...

((والضحى))...

((يا أخت هارون ولا أمُّكِ قد كانت بغيّا))

((زكريا))

((وسليمان بن خاطر)) كان صديقاً نبيا

وإماما

قبّل القبرَ ((باكياد))

فهذا الهرمُ الطفلُ

احتوى أسرارَ مصر كُلَّها،

وأقانيمَ خلود الروح والطوفانَ والطودَ

أما كان كليمَ الله،

في رابية الطودِ،

وناداه: سليمانُ بن خاطرْ

obeikandl.com

طهّر البيتَ من الأرجاس وانزل أرضَ مصرٍ،

حذّرْ الأحزاب في دوامة السلطة

والنصفية العاهر

بلغها بأن الله لا يقبل إلاّ بالبوارید

السلاما

يا صُراخَ الكُوة السوداء

يا يحيى نبيّ اللّه!

((سالومي)) تؤي رقصة الموتِ

وألقت آخر الأشياء للستر

على استقلال مصر

والمزامير وصوتُ النقر من بيت رئيس الجيش

صلّ ركعة الموت

فإن الرأسَ مطلوبٌ

ولم تصح الجماهير تماماً.

أسقنيها ...

لا يزالُ الليلُ يشتدُّ

وأشتد

ولا يبدو على الأفق دليلٌ

obeikandl.com

ربما كلَّتْ من الخيبة عيني

وأضافتْ ظُلُماتٍ

أو يروغ الأفقُ أمعاناً بشيء،

إنما أُبصر من عين الذين استضعفوا

إن أطبقت كُلُّ المقادير جهاما

أنا سكرانٌ بمن تخلقُهُمْ

من نُطفةٍ طاهرةٍ،

مثل مياه الصَبح

في الخدّ قناديلٌ من المسك

وفي العين شرودُ الظبيّ في الصحرا

أنا

أنا سكرانٌ بمن

يا ربُ يا تدري بمن

لا مني الحُبُّ على الحُبّ

فأغويتُ الملاما

أمسكَ الصحبُ السُكارى،

ليلَ ردني

سقط الزرُّ عليهم قمراً

obeikandl.com

وتدلّي سُلماً خيطٌ

إلى حصته من قدحي،

صار يلتف بروجاً

أيُّ كونٍ بين كأسي ويدي!!!

ربُّ! لا تغضبْ، فإني ((استُضعِفوا))

يأخذُ الترتيلُ بالآية لُبّي

فإذا ما بسملتْ شاحنةٌ بالحُزن والبارود

سجّلت على حاشية القرآن

أسما

شاحنات للذين أستضعفوا

أهدافها شتى

فيا حضرة كُتّاب التقارير،

تشيطنتُ

ولم أذكر نظاماً

رافعاً فردةَ سُباطّي

كالهاتف،

كي اشتمُهم.

يا خوات ال!!.....

obeikandl.com

قُطعَ الخطُّ ولم أُكملْ مراسيمَ احترامي

ربما بالفردة الأخرى،

أرادوا الاحتراما

* * *

أسقينها

ودعي سبابتي الحمقاء

تستفتحُ بالنهد

ولا أدري الختاما

أنني صَبٌّ،

أُسمّي كُلّ ما يسلبُ لُبي خمرةً

إن كان حُسناً

أو قُراحَ الماء في كف كريمٍ

أو حزاماً ناسفاً

أو بيت شعر

أو مُداما[1]

(١٩٨٦)

(١) الكفاح العربي، ١٩٨٧/١/٥

obeikandl.com

ملازمٌ عن المسكِ وشتائم جميلة

في بحار الزمان

وفي كلَ دهرٍ

يجيء مغنٍ

مخيف المحيطات

تشتو النوارس في حُزنِه.

والشراعُ صباحٌ صغيرٌ بلا كدرٍ.

لا تقدر قيمةُ هذي الوثارة

فروٌ من الضوء يكسوك

خُذْ كاسَ روحكَ للأزرقاق النهائي

واغرقْ،

بكل انسجامكَ،

طائرَ صُبح يشفشف عنه الغمامْ

كان هذا المغني يحبُ التلوث بالياسمين

ويدخل ما بين نهدين،

لا ينضج العمر دونهما،

لفّ خيطاً من الماء في رسغِه

obeikandl.com

يتقافزُ، فيما حليب الرضاع تـناثر في وجهه،

مثل جَدْيٍ

يريدُ مضاجعةَ الكونِ

عيناهُ تغرورفَان ببلدة عشقٍ

تشاطرها في الهزيع الذئاب

وداوته من حُبها بالفطام

آه مما يجيء، من القلب،

جَرْسُ الصباح على نهرها

وارتكاب الزرازير كل المعاصي سريعاً...

وذات صباح وئيد الشذى

أيقظته على كل هذا الوجود الكريم

وأعطته جفنين لا يصلحان لنومٍ

ويشتهيان الحروفَ اشتهاءً

فكم ليلة خرجت من يديه،

عقود البنفسج في جيدها

غير طاهرة الثوبِ

نشوى...

وأخرى تدق من الغيب. سكرى.

obeikandl.com

بما ينتوي من عقود

وقد نز من حلمتيها الوحام

دندنات الربيع البدائي، بين أصابعه

وخفوت مياه المساء.

وزلزلتُهُ كانكسار زجاجة عطرٍ

وفوضى زواج العصافير فوضاه

لا يتكي، رغم وجود الربيع، على أي غصنٍ

فما يتكي الجوَّ إلا على نفسه

ويقارب جفنيه للغفو

يَصدح كلُّ الوجودِ المراهق بينهما

فالنعاسُ تعلم في عينيه

لا ينام

من بعيد يهشّ، يعانقُ كلّ المسافة للناس،

يبسطُ أقصى الطفولة في راحتيه

كأن لدى الناس حلوى

فإن ذهبوا

مسحَ الليل مستوحشا،

مثلما فقمةٌ حاصرتها الثلوج

obeikandl.com

ودقّ جدار المساء على نجمة تتغيّبُ

أوضاع في موجة الفُلّ

تـنزلُ خلفَ السياجِ

وتذهب

يسكتُ مثل العطور...

قضى العُمر مختلياً بالبساتين يلعبُ

يسرقُ في آخر اليوم قمصانهنَ

يثيرُ بواكير رُمانةٍ

ويروحُ كأن لم يكن أي شيء

يدوس الارساءات مثل بقايا السجائر...

بعضُ الاساءات لا ينطفي

كم أساؤوا!!!

وكم بذلوا من جهودٍ لاخماده في انطفاءاتهم!!!

فيم هذي السكاكينُ ضد الأغاني!!!؟

لماذا يخافون من غصةٍ ملء صدر المغني؟!!!

لماذا يخافون مما يعيدُ اكتشاف المقام

ثملٌ بالشوارع

أحزانهُ لا تـنام

obeikandl.com

ولا تستفيقُ

مسدسهُ ثقة بالحياة،

إذا حاصرته الكآبةُ كان على نفسه يُفرغُ النارَ

ثم يشاهد في نيل[1] واسط طيراً

توضا باللازوردِ الصباحيّ

نور الشفاعة والسكر في ناظريه

وقلب كثير الخزاريف

جمٌّ

طروب.

إذا استفردته الهمومُ

يحزّم صمتَ الأماني،

ويسهرُ بين نقيق الضفادع،

في قصب أخضرٍ كنقيع الزُمرّدِ

لولا الحُباحبُ من كل حدبٍ

تضيء القتـناديل

لا ختبأ الليلُ في صمتِهِ

---

(١) خرج أحد المتصوفة صباحاً إلى نيل واسط((نهر قديم قرب مدينة واسط العراقية)). فرأى طائراً أبيض في وسط النهر فصاح مبهوراً بهذا الجمال الصباحي: ((سبحان الله، يالغفلة العباد)).

obeikandl.com

وتضيع الدروبُ

ثقةٌ بالحياة مسدسهُ...

أصبع ساجدٌ في الزناد

وباقي الأصابع هائمةٌ في المسافة ما بين نهدين

صناجتين

فإن فرغ المشط

يحشو الفوارغَ بالنظراتِ الجسورة

يأتي كعاصفةٍ

ويسوق المدى والعواصفَ حين يغيبُ

ويخجلُ من نفسه،

إن رأى عربياً بدون سلاح

تـنازل عن نصف زيتونةٍ مُرغماً!

في آخر العُمر أحملُ كُلَّ نخائر قلبي

وزيتونةً لم تُحزَّ بذلٍ

وأطرق بابي القديم،

وأسندُ عند الوجاق مواجع جسمي

وأخرجُ زيتونة الكبرياء

وأزرعها في دروس الصباح

obeikandl.com

وحقلي الصغير

وفي وطني العربي

ولو أنني قد تـنازلتُ عن نصفها

لغدا زمني أعوراً

من بيع نصف زيتونةٍ،

ما الضمانة أن لا يبيعَ الفراشَ

وزوجتهُ.. وحليب الصغار.

وعورتَهُ؟

وتحمل بكائي يا ربُّ!

باعوا ثلاثة أرباعهم للذئاب.

بمؤتمر خُلّب

لا يزالون في غرفة العمليات،

مختلفين على حصص الذبح!

يا أكثر الأرض عافيةً!

إن أقسى السكاكين سكينَنا

أرجمي الساكتين سكوت معارضةٍ أو رضى!

حجرٌ منكِ، أشرف من أي رأس

إلى حجر منك، منهم أتوبُ

obeikandl.com

يلبسُ العُشبَ هذا المغني المْقّرحُ

مما نفشن الليالي

يمرّ بكلتا يديه على ذكريات الصبا والمغاني

وأسئلة لا جوابَ لها

ومكاتيب قد قرأ البعض منها

وسيدةٍ وضعت بين شهوةِ عينيه كلّ النذورْ

ساحباً من دهورِ المكاتيبِ

ملزمةً

جمة المسكِ

مثل أغاني التصوف في الليل

كان يعيدُ قراءتها

كلما لبدته المرارةُ والشوقُ

يمعنُ بين السطورْ

عِمْ صباح الجماهير نُورْ[٢]

سيد العشق بالبندقية في قفص الاتهام الجسورْ

لفتةَ النسر يلقي شُعاعة عينيه حُكماً

على قانصيه،

---

(٢) الإشارة إلى محمود نور السيد بطل ((ثورة مصر)) ومحاكمته التي جرت في القاهرة.

obeikandl.com

تجبّرْ

فأنت الحسابُ .. وأنت النشور

أمةٌ تترافع عنك

فأي قضاء يواجهها!!

مَنْ يُدينُ ((أعدوا لهم ما استطعتم))...

ومن ثكلته الثواكلُ

يُلقي الجماهيرَ في السجن قاطبةً

من يقيّدُ رسغَي غدٍ بالحديد،

وقد أزفْ الانتقام!!؟

يفتحون فروعاً لأموالهم ودعارتهم،

يفتح العنفُ جنباً لجنبٍ فروعاً لنا،

فمن البحر للبحر ((ثورة مِصرَ)) فروعٌ لها

والحجارةُ عُملتـنا

والرصاصُ

ومصرفنا المركزيّ المخيم والانتفاضةُ

فاقرأ على الظالمين الظلامْ

حجرٌ ليس يحتاجُ زيتاً

ولا قطعاً للغيار

obeikandl.com

وليس يكلفنا عملةً صعبةً

المحليُّ معجزةُ الشعبِ

انظر وراء همومك،:

هذا الصغيرُ يطيرُ كقاذفةٍ في ((الجليل))،

وذي طائرات الحكومات..

نائمةٌ وتبعررُ!!!

هيا إلى الشارع الآن!

سوفَ، تقولون هذا المغني يُبالغُ

واللّه ...لا ...

أنني شارعيٌّ

واشتمُ من ((كَعَب الدستِ))!

من باع شبراً من الأرض أبن الخنازير قاطبةً

يا جماهيرُ! كل القيادات مفتوقةٌ

سيّما

آه من سيّما!!!

عانقْ الشارعَ الآن يا شعبُ

ولنلتئم بالجليل، وغزة والقدس،

في حجر لا يُضام

obeikandl.com

اقفِلْ البثَ

هذا القياديُّ يكذب مثل البقية

في وجهه صالةٌ للقمار

وفي عقله ((غرزةٌ))[٣] لليسار اليهودي

خذ جرعةٌ سيدي!

هذْه من رضى الأرض طعمُ التراب العراقي فيها

تسمَّع غناء العصافير والكون في طعمها

واسمع الآن مني

فإني حكيمٌ إذا دبّ فيَّ الدبيبُ العظيمُ

يدوزنني الناسُ سبحانهم

ليس هذي الحجارة إلاّ مقدمة اللحن

ما سوف يأتي خطيرٌ

ويفتحُ للأرض ثانية أذنيها

على الأنبياء الصغار الجميلينَ

لا بدُ أن تؤمنَ الأرضُ،

مهما تهاض عظام النبيّ الصغير

فضمن النشيد العظيم

---

(٣) الغرزة: مفردة مصرية تطلق على مكان التحشيش.

obeikandl.com

أنينُ العظامْ

آه من وحشةِ الصمتِ

لم يبق في علبتي

غيرُ عودٍ يزيدُ الظلام انطفاءً

لماذا العراقُ بعيدُ

وكلُ البكاء هنا!؟؟

لا تزال كما كانت العربشاتُ

على حائط الذكريات

ودربٌ صغيرٌ يهيمُ إلى بيتـنا

ووجه يجيء من العتمِ

من أنت يا وجهها؟ يا أحبك!

يستيقظ الصمتُ في خاطري من بعيدٍ

ومقهى كأنْ مُسحتْ وأعيدت كتابتُها

والزبائن والطاولاتُ بخط رديء...

وبعضُ سياج لشيء، وعاد بلا أي شيء

ورعشةُ نهر على وجهِ سيدةٍ

علمتـني افكر كالعشق،

لكنها الآن تمضي على عجلاتٍ

obeikandl.com

وتقفل مذياعها اليدويّ الصغير

إذا لم يقلْ نشرةً للحجارة.

تغفو أمام فراغ تركناهُ في قلبها

لا تزالُ إذا دثرت نفسها جيداً بالضحى

وشذى الياسمين

تفكر كالعشقِ،

أو تدفع العجلات وراء مدى حزنها

وتغيب ونظارتاها على حُضنها

في الظلام

لم يزل ثملا

قطٌّ ما عاد يصحو

يمط المجرةَ أكثر من طولها

ويفيق إلى آخر تفاحة في الحديقةِ

رغم أن صلاحية القلب،

مرَّ عليها زمانٌ

وما عاد يمكن أن تتجدد

يفرش إحدى الصبايا،

يصلي الربيع عليها

obeikandl.com

بلا أي اثم سوى ضمتي شفتيها

كأنهما توبتا قطرتي عسل

والبساتينُ تغسل حسّ أصابعه بالمُدامْ

بدّد العُمر في الغربات الحزينة كالجهل

يغفو بشائعةٍ من خمورٍ

فيوقظ أخرى

يرتلُ في آية البندقية

مقتفياً أثر القاتلين

وعما قريبٍ سيحضرهم في المكان المحدّد قبلاً

ويسكتُ مثل الخرائب في الليل، عن حُزنِه

فالبلاد التي هو منها

سرابٌ

تخافُ الحقائقُ منه

فإن سكن الخلقُ

يأخذ عزلته بزوايا من الله عابقه بالشرابِ

ويثمل بالله سبحانه

والبلادِ التي درجاتُ الكحول بها،

لم تصلها الخمورُ

obeikandl.com

وبالوهم يسكُرها بين حين وحينٍ

فهذا غرامٌ وهذا غرامْ

كالنعاس يطيشُ،

إذا نتأت في الصباح الضبابي

قبرةُ الذكريات

يمدُّ يديه إلى الأفق يلعبُ بالأزرقاق السماويّ

يا نادل الفجر

للصبح رائحةُ الطفل يرضعُ

قُم للشَمول..

بكأسي الشمول

بلا سكرة ليس ينقشع الليلُ، يا سيدي!

وبلا طلقةٍ ليس ينقشع الدهرُ

قُمْ نتسكعْ بروحي

وإن كان للروح منك طريقٌ ذكي البنفسج

وسّعْ

أنا واحدٌ، لست وحدي

ففي جانحي الأنامْ

صوتُك الغامقُ الفخمُ

obeikandl.com

يغري الفراشات والذكريات. وحزني..

احتملني كأي شراب عتيقٍ

فلم يبق إلاّ ثمالةُ يومٍ من العُمر

أخشى يجيء الرحيل المقررُ

من دون خمر

ولا أحدٍ

ثَقُلَ الحمل يا صاحبي..

وتعبت بقافلتي، أتهجى المساء المطير

فإذا صاح ذئبٌ

يضيء دجى وحدتي..

ويريني سراباً أسير إليه

ويعجبُ، مما لأجل السرابِ- المسير!

أظن المدى مُدّ لي بالأغاني،

إذا هتف الكروانُ الحزينُ

وأنزلُ أمتعتي عند نهدٍ صغيرْ

غاسلاً غربتي ووجهي..

وأعري وراء جدائلها سيف عُرسٍ.

ويفرش لي الجسدُ اللدنُ

obeikandl.com

آخر مبتكرات الحرير..

فوق جلدي الممزق ألبسها

ولتبثَ الحقول كما شاءت الشائعات

وتغفو المياهُ التي غسلتـني

وقد أخذت سنةً من نعاسي...

مغيبةً بالأثيرْ

وتـناثر طلع الصباح على قدميها

فختّمت النسماتِ

بأبهامها،

بفتور

رأيت ألف ختم على جسدي قبل قبلتها

آه من أثرِي شفتين مراهقتين، انمحى،

تاركاً وجعين،

حريقاً نميراً

وطفواً نميرْ

لامست بعض ثوبي

فزقزق حقلٌ

وضاق على جسدي باب وردٍ

obeikandl.com

كثير الصريرْ

وغفى كلُ شيء

بهذي الخليقة،

إلاّ طريقاً إلى بيتـنا كالوقار،

وسيدة لم تزل خلف نظارتيها

تُقرِّب وقت رجوعي..

وفي صمتها خيمةٌ من ضلوعي...

على مقعد العجلاتِ، يداعب أجفانها تعبُ العُمرِ

تغفو....

فتـنزلق العجلاتُ بلا كابح في المنام،

إلى أول العمر

ضوضاءُ حلوى تُطُش على قامة النهر

والرملُ كان شديدَ الطراوة والوحيّ،

والساعة المركزية حين تدقُ انتصاف النهار...

تـنامُ الأزقةُ والقبراتُ الصغيرة والمشمآتُ

وحتى المخافرَ تغفو

تكون الحكومةُ قد تعبت من عمالتها

كان آنئذ للعمالة قيلولةٌ

obeikandl.com

لم تكن قرشاً،

كلُ أوسمةِ السلمِ رُصّت على فكه

كان يومئذ للعمالة بعضُ الحياء

وللعهر بعض احتشام

جرعةً من جهنم هذي،

خلاصةَ حقلٍ من الكرم

قد توقظُ الفهمَ

مثل النواعير،

اشربْ!

ولا تتأسف على لحظة ذهبت

ذاهب أنت أيضاً قريباً بتذكرةٍ لا رجوعَ عليها

تزوّد قبيل الخروج النهائي

اسكبْ جميع الحقائق صرفا، كما كنت دوماً

رُبيب المفاتيح في جيبك الداخلّي

لكل الخمور،

العطور،

الصبايا...

النوايا...

obeikandl.com

وفتح حوار مع الصيف عن أجمل القُبرات،

تزور الشريط الحدوديّ،

زنرت خصرها بسلاح صغيرٍ،

كبرعم وردٍ

جميع الحقولِ أتت خلفها، تتفرج' لاهثةً.

في كمال الأنوثة والعطر، والوعيّ تدخلُ في جيش ((لحد))

وتفرغ كامل وردتها..

المسدس وردة هذا الصباح الجنوبيّ

خذ وردةً – كسهى[٤] – أنت واذهب

تأنق بربطة عنق من الحقل

مرقوشةٍ بالندى..

رافقتك السلامة

إما مقرٌّ العدو،

واما مقرٌّ الخيانة

أو شئت هذا البناء المصفّحَ:

هذا المكان الملطّخ بالدم

للأنفراديّ

(٤) سهى بشارة- بطلة محاولة تصفية العميل لحد.

obeikandl.com

((للفرح)) الانفراديّ!!

والغرفتان يمينا لتخمير جسم بني آدمٍ،

والخزانات هذي، جواريرُ موتى،

اختفوا بالحوامض،

أو باعترافاتِهم

شاور الوردة الآن

أدفع أمان المسدس...

أو أي قنبلة تشتهي كعذابكَ

عانقْ هدوء المساءِ الجميل،

واطلقْ

فديتك.. أحرف مسدسك العربيّ قليلاً

فإنهم دائماً في انحرافٍ،

ولا سيما لحظة الإبتسام[٥].

(٥) الكفاح العربي.

obeikandl.com